17

التناص الديني في قصائد الامام ابي محمد القيرواني: ت ٣٨٦ هـ

أ. م . د. اسراء عبد الرضا عبد الصاحب الغرباوي

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي / مركز البحوث النفسية

أ.د. ياسر رشيد حمد البياتي

جامعة تكريت / كلية الآداب / قسم اللغة العربية

المستخلص

التناص الديني في قصائد الامام ابي محمد القيرواني ت ٣٨٦ هـ

يهدف هذا البحث إلى بيان أثر النص الديني في إثراء النص الشعري عند شعر ابي محمد ابن ابي زيد القيرواني ، الذي استسقى من ألفاظ القرآن الكريم ومعانيه وصوره والقصص القرآنية والسنة النوية في أغراضه الشعرية المختلفة.

سنحاول في هذا البحث إبراز قدرة الشاعر القيرواني على استحضار النصوص القرآنية وتوظيفها في النصوص الشعرية لبيان وتوضيح عمق الاختيار وإستحضار التوظيف الديني في الشعر ، والذي شكل جزءا هاما من النصوص الشعرية لدبه خاصة وشعراء الاندلس عامة كذلك إلى تسليط الضوء على أشكال التناص القرآني من خلال تناول و تحليل مجموعة من نماذجه الشعرية المختلفة، حيث ستركز هذه الدراسة على الجانب التطبيقي، وسنكتفي بالجانب النظري في تحديد مفهوم التناص وآلياته.

Abstract

Religious intertextuality in the poems of Imam Abu Muhammad al-Qayrawani, d. 386 AH

This research aims to demonstrate the impact of religious text in enriching the poetic text in the poetry of Abu Muhammad Ibn Abi Zaid al-Qayrawani, who drew inspiration from the words of the Holy Qur'an, its meanings, its images, Quranic stories, and the Sunnah of An-Nawawi for his various poetic purposes.

In this research, we will try to highlight the ability of the poet of Kairouan to invoke Qur'anic texts and employ them in poetic texts to explain and clarify the depth of the choice and invoke religious employment in poetry, which formed an important part of the poetic texts of our poet in particular and the Andalusian poets in general. It also aims to shed light on the forms of Qur'anic intertextuality by examining and analyzing a group of its various poetic models. This study will focus on the applied aspect, and we will be satisfied with the theoretical aspect in defining the concept of intertextuality and its mechanisms.

المقدمة

يعد التراث الديني، ينبوعا مهماً للفكر الإســـلامي ومصـــدره في إمداد الثروة اللغوية ، فهو ليس مقصوراً على زمن دون زمن، أو مكان دون آخر فقد كان ومازال القرآن الكريم معيناً ثرياً للفصـــاحة والبيان وموردا يســـترفده الشـــعراء في كل زمان ومكان، ويفيدون منه لإغناء إبداعاتهم وإضـفاء الجمال الفني عليها، وتعميق تجاربهم الشعرية، ولهذا فقد ظل الحبل المتين الذي يربط الشعر العربي بعضه ببعض، قديمه وحديثه على مر العصور، وفي مختلف الأماكن، والنصوص القرآنية والدينية قادرة – بلا شـك– على إلهام الشـاعر بما تحويه من معانٍ متجددة، فكان اسـتدعاء الشـاعر لآي القرآن الكريم وألفاظه أو أحداثه أو قصـــصـــه أحد الســـبل التي أدت إلى ارتقاء الشـــعر العربي، بالإضـــافة إلى كونه النص المتفرد في إعجازه البلاغي . وقد ظهر التأثير القرآني في الشعر منذ صدر الإسلام،فلا تكاد ذاكرة الإنسان في كل العصور تحرص على الإمسـاك بنص إلا إذا كان دينيا أو شـعريا وهي لا تمسـك به حرصـا على ما يقوله فحسـب، وإنما على طريقة القول ومضـمون الكلام أيضـاً فذكر القرآن الكريم من خلال أي عمل أدبي يلقي هيبة وتخوفا،وبقدر هذه الهيبة والتخوف تبرز أهميته وقيمته وضرورته.

ويعدُّ النص الأدبي او الشـعري بمثابة ممارسـة لغوية تخضـع للنظام اللغوي الخاص بلغة ما، والذي يكتسـب عادة من خلال اسـتيعاب نصـوص أخرى أنشـئت في هذه اللغة، ومن ثم يعمد الى عملية إعادة إنتاج هذه النصـوص السـابقة له، والتي خبرها الأديب او الشاعر على نحو من الأنحاء خلال مراحل تكوينه الثقافي .

ومن خلال بحثنا هذا لشـــعر ابن ابي زيد القيرواني يلحظ بشـــكل جلي أن العامل الديني المتمثل بالقرآن الكريم والسنة النبوية كانت مصدراً أساسيا مهما في ثقافته ، حيث كان يقتبس منهما بعض الالفاظ وتراكيبها، أو يغترف من نبع معاني القرآن والحديث جمله، أو يضمن شعره أثراً من روح القرآن ووحيه ، وهذا يتكشف عن مدى إفادته من الموروث الديني من ناحية الشكل والمضـمون في نتاجه الشـعري، وطريقة توظيفه لنصـوصـه، باعتبار أن توظيف النصـوص الدينية في الشـعر يعد من أنجح الوسـائل وذلك لخاصـية جوهرية في هذه النصـوص تلتقي مع طبيعة الشـعر نفسـه،

لذلك سنقوم بتحديد أبرز أشكال التناص الديني في شعر ابن ابي زيد القيرواني ، وما حققه من تلك الوظائف في نصوصه ان وجدت لأننا لم نقف على بحث يعالج قضية التناص او الاقتباس في شـعر ابن ابي زيد القيرواني وعمدنا الى دراسـة نماذج من شـعره نظهر من خلاله فاعلية التناص في اثراء نصـوصـه الشـعرية وقيمتها الفنية وفاعلية تاثيرها في المتلقي ، وبحثنا هذا يدرس موضـوع التناص من جانبيه النظري والتطبيقي ،ويشتمل على تمهيد ومبحثين:

التمهيد:: تضمن المسار التاريخي لابن ابي زيد القيرواني،

المبحث الاول: يمثل عرض نظري لمفهوم مصطلح التناص الديني والياته. من وجه نظر النقاد.

وثانيهما :الجانب التطبيقي للتناص في المقطوعات الشـعرية للقيرواني اعتمد في اختيار نماذج منها واسـتحضـار النص الديني والادبي بوصـفه جزءا من المعروض .

تمهيد

المسار التاريخي للشاعر ابن أبي زيد القيرواني

يعد ابن أبي زيد القيرواني من كبار فقهاء المالكية وإمام وقته، له مكانة علمية بشهادة العلماء وقد لُقِّب بـ «مالك الأصغر»، وكتبه تشهد له بذلك، توفي سنة 386 هـ وعمره 76 سنة. [1].

نسبه وولادته

ابن أبي زيد القيرواني عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمن النفزاوي [2] أو النفزي [3], القيرواني؛ أبو محمد. ولادته مدينة القيروان بتونس سنة310 هـ/ 922 م.

الإطار السياسي والديني في عصره

ولد ابن أبي زيد بعد أربعة عشر سنة من قيام الدولة العبيدية سنة 297 هـ/ 909 م, التي أطاحت بالدولة الأغلبية, وحلت محلها في الهيمنة على بلدان الشمال الأفريقي.

وتسمى هذه الدولة بالعبيدية نسبة لمؤسسها عبيد الله؛ وبالإسماعيلية نسبة لإسماعيل بن جعفر الصـــادق؛ ولقب بالمهدي لأنه ادعى أنه المهدي المنتظر. وما بين ولادة ابن أبي زيد سنة 310 هـ/ 922 م ووفاته سنة 386 هـ/ 996 م, [4]

وبهذا يكون قد عاصـــر خلفاء الدولة العبيدية حتى ســـنة تغيير عاصـــمتهم ومركز حكمهم من المهدية إلى القاهرة سنة 362 هـ/ 972 م،ثم عاصر الأمراء الصنهاجيين من بني زيري الذين خّلفهم العبيديون على ملك إفريقية نيابة عنهم إلى سنة 386 هـ/ 996 م, وهي السنة التي توفي فيها ابن أبي زيد القيرواني. [5] ،

إن معاصـــرة واطلاع ابن أبي زيد القيرواني على مختلف عقائد الفرق المخالفة, سينعكس اثره في مقدمتة العقائدية للرسالة الفقهية التي ألّفها, فضلا عن شعره.

نشأة ابن أبي زيد وطلبه العلم

في هذا الإطار السياسي المتمخض عن الصراع المذهبي بين الفرق الدينية وخاصة بين

أهل الســـنة الذين يمثلهم المالكية, وبين التيارات المتعددة التي واجهوها وعارضـــوا مبادئها ومعتقداتها, كالمعتزلة في عهد الدولة الأغلبية, والخوارج الصفرية والإباضية؛ نشـــأ ابن أبي زيد القيرواني، وتلقى تعليمه الديني على خوف من اضـــطهاد الدولة العبيدية المتربصين بكل من ينشر من المالكية علوم أهل السنة, استطاع القيرواني أن يشـــق طريقه في طلب العلم, وأن يصـــل إلى الأخذ عن أبرز من يمثل المذهب المالكي من العلماء بالقيروان, رغم الحصار المضروب عليهم. . [6] ،

تفقه بفقهاء القيروان، وعول على أبي بكر بن اللباد، وأخذ عن: محمد بن مســـرور الحجام، والعسال، وحج فسمع من أبي سعيد بن الأعرابي، ومحمد بن الفتح، والحسن بن نصر السوسي، ودراس بن إسماعيل. ، وقد أثنى عليه العلماء الذين استجازوه، وفد"حاز رئاسة الدين والدنيا، ورحل إليه من الأقطار ونجب أصحابه، وكثر الآخذون عنه، وهو الذي لخص المذهب، وملأ البلاد من تواليفه،بعد ان تفقه بفقهاء القيروان. (7)

تميز ابن أبي زيد بشهرته في الفقه المالكي ونظمه للكتب الفقهية والأدبية، ومن أشهر كتبه "تهذيب الكمال" و"الجامع للسنن"، وأيضًا "مختصر البارع" الذي ألفه في الفقه

المالكي. لذا لا يكاد ابن أبي زيد يذكر إلاّ وينصـــرف الذهن لإمامته الفقهية, ولا ينحـــصر دوره الرائد في علم العقيدة. وهو وإن كان يعد اول من ألّف مختصرا في الفقه, من خلال مؤلفه الرسالة, فهو أيضا من خلالها يعد أول من ألّف نصا عقائديا مختصرا, علـى طريقتـه فـي الاختصار القائم على التلخيص وتقريب المعاني, دون إخلال أو وقوع في الغموض.

اما التعريف بالجانب الآخر للمعارف التي نشط فيها فضـلا عن علوم الشريعة، فإن له قصـائد جميلة بديعة يذكر له المترجمون،وينسـبها اليه الناقلون، تدل على اجلال لرب الارض والسماوات ومحبة للنبي محمد عليه افضل الصلوات ، كذلك تدل على حسن تذوق للكلمات وجمال صياغة للعبارات وتفاعل في المراثي مع التوجعات ، إذ برع في استعمال أفانين الكلام، لهـــذا الغرض وذلك من خلال حفظه للقرآن الكريم والفحص عن سـره وغامض رموزه وإشـاراته" وهذا يشـير لأهمية ثقافته القرآنية بلغة ودلالة". [8]

فابن أبي زيد القيرواني ليس معروفًا بشعره بقدر ما هو معروف بفقهه وأعماله الدينية. ولكن هناك عدد من العلماء والفقهاء المالكيين الذين كانوا يكتبون الشـــعر أيضًـــا كوسيلة للتعبير عن أفكارهم ومشاعرهم.

وبعد استقراء شعره ، يتضح ان التوجيه الارشادي لديه كان متسع الجوانب، اعتملت فيها الأحداث وأثرت فيها التجارب، فعبرت عن وقع التجربة عليها تعبيراً إنســـانيا صادقاً حيث يتميز شعره بالأسلوب البديعي والأدب العالي.

يقول محقق الديوان [9]: وقد رأيت ان اجمع ابياته المتناثرة مما لم يطبع من قبل او طبع ضـــمن كتب التراجم في موضـــع واحد اســـميته (ديوان الامام ابن ابي زيد القيرواني) فجمعت كل ما وقفت عليه مما نسب اليه،، وهو ليس بديوان انما رسالتان للامام ابي محمد بن ابي زيد القيرواني احداهما جمعت من متفرق شعره ، والاخرى رســـالـة الى طـالـب علم، قـد كتبهـا القيرواني الى بعض طلبتـه الراحلين الى المشرق،ينصحه فيها ويوصيه.

فوجدت مجموع القصائد لايزيد على (6) قصائد ومقطوعات، ولايزيد مجموع ابياتها على (139) بيتا. وهي اجمالا كما يلي:

1- القصيدة اللامية في شفاعة النبي وهي قصيدة في مدح النبي او في البعث- حسب ماسميت بها هذه القصيدة في المصادر- وهي (36)بيتا

2- قصيدة في فضل العلم والحث عليه وهي (18) بيتا

3- مقطوعة في الدفاع عن الامام مالك وهي (5) ابيات

4- مقطوعة كتب بها بعض اهل العلم او كتب بها اله وهي (3 او 4) ابيات

5- قصيدة في رثاء شيخه ابي بكر المعروف بابن اللباد وهي (47) بيتا

6- قصيدة في رثاء شيخه ابي الفضل الممسي وهي (29) بيتا

توفي سنة 386 هـ وعمره 76 سنة قال أبو إسحاق الحبال : مات ابن أبي زيد لنصف شعبان سنة تسع وثمانين وثلاثمائة ، وكذا أرخه أبو القاسم بن منده ، وأرخ موته القاضي عياض وغيره في سنة ست وثمانين وثلاثمائة [10]و.رثاه عدة من الشعراء .

المبحث الاول

عرض نظري لمفهوم مصطلح التناص الديني وآلياته.

التناص بوصفه ظاهرة نقدية حديثة ذات جذور قديمة أصبح شغل الدارسين في الوقت الحاضر فكان أن تناولوا اغلب عصور الأدب دراسةً وتحليلاً في محاولة

للكشف عن أواصر التعالق بين النصوص الحاضرة والغائبة أو اعتماد شعر الشاعر الواحد واعتماد نتاجه الشعري وتحليل مرجعياته الخاصة (11)

إن النص الشـــعري بكونه نتاجاً فنياً يتحقق خلال لحظة الإلهام هو ما أقرته الدراســـات القديمة منها والحديثة , إلا أن هذا الإلهام لا يتأتى من فراغ وإنما يحتاج إلى بيئة صـالحة قابلة لأن تدفع النص للظهور إلى السـطح بأن تثار بالتحفيز , وان البيئة الصـالحة لتكوّن النص هي ذهن الشـاعر الذي يختزن صـوراً وأفكاراً بطريقة لا واعية حتى تغوص في العقل الباطن , لذلك فأن ذهن الشـاعر يعد مرتعاً لمشـاهداته وقراءاته السابقة وهو مشبع بمرجعيات مختلفة ومتنوعة وخبرات وتجارب تمثل رصيداً متنوعاً ومتزايداً مع تقادم الزمن فلا عجب أن يمثل كل ذلك معينا ثَراً ينهل منه الشاعر – بشكل قد يكون واعياً أو غير واعٍ – لينتج نصه الشعري . لـذلـك فـان عملية الإبداع ليســت عملية مفاجئة عند الشــاعر وإنما لها إرهاصــاتها التي تجعله مســتعداً لها نفســياً وذهنياً, ولتحديد اصــل أي فكرة أو صــورة في النص لا بد من إرجاعها إلى جذورها وأصــولها أي مرجعياتها باســتخدام آليات خاصــة تمثل أدوات لمساعدة المتقصي وتسهيل مهمته في استرجاع النصوص السابقة ويمكن التخطيط لهذه العملية بالشكل الأتي :

المنتج		المتقصي		المتلقي
النص الغائب		آليات خاصة		النص الحاضر
(مشاهدات/قراءات/تجارب/مرجعيات)				(ألفاظ وأفكار متناسقة)

أن النص الشــعري الأندلســي يمكن معالجته على وفق آليات التناص إذ يمكن تحليل النص إلى مكوناته الأولية (مرجعيات) والكشـف عن مواطن الإسـترجاع وبؤر التعالق من خلال اعتماد أدوات أو آليات خاصــة تبين درجة التعالق أي مدى اقتراب النص الحاضر من سمات النص الغائب ونوع ذلك التعالق وهذه الآليات.

وتجدر الإشــارة إلى أن بعض الباحثين قد اعتمد كلاً من الاقتباس والتضــمين وعدهما آليتين من آليات التناص,

فقد عرف محمد الزعبي التناص بأنه "ما يتضـمن نص أدبي ما نصـوصـا أوأفكاراً أخرى سـابقة عليه عن طريق الاقتباس أو التضـمين أو الإشـارة أو ما شـابه ذلك من

المقروء الثقافي لدى الأديب بحيث تندمج هذه الأفكار أو النصـــوص مع النص الأصلي لتشكل نصا

جديدا واحدا متكاملا" [12]

لكن الحقيقة أن التناص – بوصـــفه مفهوماً نقدياً – قائم على الاقتباس من النصوص السابقة أو تضمين النصوص بعضها لبعض , أي أن الاقتباس والتضمين هما مفهومان شـــاملان لكل عملية التناص وليســـا آليتين تمثلان جزءاً من العملية كالتكثيف أو التمطيط أوالتحويل أو الاجترار , وهذا ينطبق على الحوار الذي عده بعض الدارســـين آلية منفصـــلة , والواقع أن التناص كله قائم على مبدأ تحاور النصـــوص وعلى الاقتباس منها وتضـــمينها , لذلك نرى جعل الاقتباس والتضـــمين والحوار مبادئ مهمة تقوم عليها عملية التعالق النصي وليست آليات مستقلة .

المرجعية الدينية:

على وفق المرجعية الدينية يعد القرآن الكريم والحديث النبوي الشـــريف الركيزتين الأســاســيتين لإقامة العلاقات التناصــية كما تمثل النصــوص الدينية المرجع الأكثر قدســـية بين المراجع الأخرى ،لذا فهي الأكثر تأثيرا في النصـــوص اللاحقة ،و لقد اســتطاعت ســلطة النص الديني الإلهي والنبوي أن تفرض نفســها بشــكل كبير على النص البشـــري و الأدبي بالذات ، لاســـيما أن الخطاب الديني يزخر بالأفكار و المواقف والعقائد التي باتت معيناً ثراً للشاعر العربي فضلا عن الجودة الأدبية والفنية التي تميز بها الخطاب الديني و القرآني بالذات .

لذا دأب الشـــعراء على طرح الأفكار والمعاني الدينية في أشـــعارهم بل و اعتماد الألفاظ نفسها غالباً إذ إن "الموروث الديني اعظم مصدر للصورة النفسية كما أجمعت كثير من البحوث الحديثة ذلك لانه يمس أصـــفى المشـــاعر وأرقّها، أطهرها وابسطها" [13]

ولعل النص القرآني بشـكل خاص "يحمل للإنســان في كل زمان ومكان دلالات لامتناهية ويفسر أشياءً تمس حياة الإنسان لذلك اخذ الشعراء منذ القدم يعودون إلى هذا المصـدر المتميز " [14]بل انه اصـبح "النموذج المحتذى أسـلوبا و مضـموناً" [15] ذلك أن الخطاب القرآني ((يجيب بشكل جمالي عن أسئلة الوجود والأخلاق والمصير)

ولو تأملنا النص الأندلسي لوجدنا أن للنص الديني آثاراً واضحة المعالم لاسيما الخطاب القرآني فقد ((عاش مع الشاعر الأندلسي في فكره ووجدانه وخياله وبكل تفاصيل حياته فكان المنبع الثر الذي أمد الشاعر بالكثير من المعاني والصور و مقومات لغته الشعرية))[17] حتى ظهر بشكل واضح في نصوصهم الشعرية ·[16]

وقد اهتم الشعراء الأندلسيون على اختلاف العصور الادبية بتوظيف التراث الديني وتفاعلوا معه بوعي وإدراك وكان القران الكريم المصدر الأساس والمنبع العذب الذي استقى منه الشعراء فقد استمدوا من آياته المقدسة زخما روحيا ومعنويا يحقق لهم صفة الأصالة والخلود فضلا عن الأحاديث النبوية الشريفة فقد سجلت حضورها في قصائدهم ولكن بنسبة اقل من المصدر الأول (القران الكريم) لان الشاعر الأندلسي كان يسعى إلى الإشارة إلى حِكَمٍ ما دون الولوج في تفصيلاتها وهو ما يمثل صفة من صفات الأحاديث النبوية الشريفة إذ استوحى منها القيم الجليلة والمواعظ النبيلة التي تجد صداها في ذاكرة المتلقي لا محالة [18].

ونخلص الى ان المرجعية الدينية التي يمتلكها الشاعر في خزينه المعرفي من نصوص دينية سواء أكانت من نص القرآن الكريم أم الأحاديث النبوية الشريفة من خلال اعتماد آليات التناص وهي التكثيف والتمطيط والتحويل والاجترار ففي التكثيف يسترجع النص الغائب من خلال الإشارة أو الإحالة المكثفة الموجزة أما في التمطيط فان منتج النص لا يكتفي باستحضار النص السابق بل يزيد عليه ما يغنيه ويثريه حتى تبدو شخصية المنتج وبصماته بارزة على النص اللاحق, أما التحويل فيعد من ابرز أنواع الأخذ وأبدعها لأن الشاعر هنا يستلهم النص الغائب ويبدع في الأخذ منه ثم يعيد صياغته بشكل يجعل النص أكثر تناسقاً وكأنه ولد من جديد, أما الاجترار فيقوم على الأخذ واللصق من خلال إعادة النص كما هو دون تغيير فيعتمد أسلوب التكرار سواء تكرار النص للشاعر نفسه أم لغيره , ومن خلال كل تلك الآليات يمكن تفكيك النص وإعادته إلى اصل مرجعياته. ·

فذكر القرآن الكريم من خلال أي عمل أدبي يلقي هيبة وتخوفاً، وبقدر هذه الهيبة والتخوف تبرز أهميته وقيمته وضرورته، لذلك سنقوم بتحديد أبرز أشكال التناص القرآني ونوع ذلك التعالق في قصائد ابن ابي زيد القيرواني.

المبحث الثاني :

الجانب التطبيقي للتناص في المقطوعات الشعرية للقيرواني

التناص بالمفردة القرآنية:

"لما كانت الألفاظ للمعاني لازمة، وعليها دالة، وإليها موصـلة وعلى المراد منها محصلة، عنيت العرب بها، فأولتها صدراً صالحا من تثقيفها وإصلاحها "[19]

وللقرآن الكريم دقة خاصة بانتقاء المفردات وتخيرها، ووضعها في سياق خاص بها، يبلغ في الفصـاحة والبلاغة والبيان أعلى الدرجات وأرقاها، إذ لا يمكن للفظة أن تحل محل غيرها، واللفظة القرآنية في أغلب الأحيان مصـورة ناطقة بمعناها موحية به، كما أنها حمالة دلالات، إذ توحي بأكثر من معنى.

إن الدارس المتعمق للشعر الأندلسي يلحظ بشكل جلي أن القرآن الكريم كان مصدراً أساسيا مهما في ثقافتهم، فقد كان لهم عناية بالغة بالقرآن الكريم وعلومه، فقد جاء في مقدمة ابن خلدون: " وأما أهل الأندلس فمذهبهم تعليم القرآن والكتاب من حيث هو، وهذا هو الذي يراعونه في التعليم، إلا أنه لما كان القرآن أصـل ذلك ورأسـه، ومنبع الدين والعلوم، جعلوه أصلاً في التعليم". [20]

وهذا ما انعكس على قصـائد القيرواني الذي كان يقتبس من القرآن بعض ألفاظه ومعانيه وتراكيبه، جمله، أو يضـمن شـعره أثراً من روح القرآن ووحيه. الذي اشـتمل على مفردات ذات خصوصية كبيرة، تتميز بأنها إذا وضعت في سياق لا يسد غيرها مسدها، وهي ألفاظ قليلة الاستعمال في اللغة، ولكنه حرص على الإفادة منها لقدرتها الفائقة في التعبير عن المعنى، وقد اتضـح هذا التأثر عند القيرواني بالألفاظ القرآنية رغم كونه مقلا بالشـعر، لكن ذلك يعكس مقدرته وملكته في توظيف اللفظة القرآنية في الأداء الشعري، حيث إننا نجد أن هناك "مفردات لغوية اكتسبت هوامش إضـافية نتيجة لدخولها في التراكيب القرآنية حتى يصـح لنا القول إنها مفردات قرآنية، حتى بعد تغير السـياق، وتغير الوظيفة النحوية، يظل هذا الطابع، فإذا غرسـت في تركيب ما أشاعت منه بعضا من هوامشها المكتسبة، ومن ثم دلت على ظواهر تناصيّة [21]

فالتناص من القرآن الكريم يعني محاولة التقرب من تلك الذروة العالية، وكلما أكثر الشاعر من تناصه كان أقرب إلى تلك الذروة، ولم يكن الامام القيرواني بعيداً عن الاقتراب من هذه الذروة، شأنه شأن بقية الشعراء في المشرق.

لذلك سنتطرق إلى هذا النوع من التناص، ونعني به اللفظة الواحدة، وتشمل جزءاً من اية، وتؤدي وظيفة مماثلة، ولكن دون زيادة أو نقصان، أو بمعنى آخر هو تضمين الشعر مفردة قرآنية بلفظها وتركيبها دون تغيير أو تحوير حيث يأتي استعمالها في إطار دلالتها القرآنية ذاتها، وتكون الغاية من ذلك توضيح المعنى، وتقوية العبارة، وعد هذا التناص "نوعا من الامتصاص الشكلي والوظيفي على صعيد واحد"(22)

ومما وجدناه من تناص اللفظة عند القيرواني أمثلةً كثيرة من ذلك قوله (23) :

والناسُ قد حُشروا والشّمسُ تُحرقُهمْ * وهم سُكارى لِما يَلقونَ من وجلِ**

هذه المفردة القرآنية الخاصة لفظة (سُكارى) حيث وردت في قوله تعالى:

﴿ وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ (24)

وظف الشاعر هذه المفردة من النص القرآني ليؤكد على حتمية إثبات ما يحيط بالإنسان من هول ومما يدركه من الخوف والفزع ، وترى الناس النبي (محمدﷺ) من عظيم ما نزل بهم من الكرب وشدّته سُكارى من الفزع وما هم بسكارى من شرب الخمر. ولكنهم صاروا سكارى من خوف عذاب الله عند معاينتهم ما عاينوا من كرب ذلك وعظيم هوله، مع علمهم بشدة عذاب الله. فجاء التناص ملائما للحالة النفسية التي يعيشها الشاعر لذلك كان النسيج الشعري متلاحما مع النسيج القرآني شكلاً ودلالةً، مما أدى إلى وجود تناص بالشكل والمضمون. فالغرض الذي ابتغاه الشاعر هنا تقوية قوله الشعري بالمفردة القرآنية النصية ليجد مزيداً من القبول والهيبة من قبل الناس .

فشكّل التناص بؤرة شعورية فاعلة في نفس القارئ أو السامع تعالق فيها النص الشعري مع المفردة القرآنية لتعميق الترابط التناصي بينهما، محققا بذلك انسجاما مع ما جاء في الآية. وقد اعتمد الشاعر على مرجعية واحدة وهي الاية الكريمة اذ التقط

االمشهد القرآني فطوعه بما ينسجم مع المشهد الشعري تعني الثقافة الدينية المتجذرة لديه.

وأشار ابن ابي زيد القيرواني إلى ذلك الأثر –التناص– في قوله [25]:

وبعده سألوا موسى فقال لهم ** قَتَلْتُ نفساً واني اليوم في شُغُلِ**

وهذا منتزع من قوله تعالى:

﴿ قَالَ يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ ﴾ [26]

وقول بن ابي زيد اقرب الى هذا اللفظ القرآني في الآية،من غير كلمة إني ، لان فيها إســـراعا الى ذكر مايعُدّه جنايةٍ توجب وجلهُ من هذا المقام، وهذا معنى بلاغي، وهو اجود مما يفيده تكرار(إني) في جملة واحدة.

فاســـتمد المفردة (قتلت) من قوله تعالى انفا فنلحظ هنا أن العلاقة بين النص القرآني والنص الشـــعري قائمة على التضـــافر في إظهار الدلالة المطلوبة من خلال غرس المفردة (قتلت) في النص الشعري ليحمل الدلالة نفسها التي حملها السياق القرآني، وهكذا أراد الشاعر من خلال هذه المفردة أن يظهر ما حدث لنبي الله موسىعليه السلام يوم العرض لأنه في شغل مما اعتراه من خوف ووجل ، فكان التناص بهده المفردة مرادفا في دلالته لما جاء في الســـياق القرآني . وعمق من الدلالة الشـــعرية للكلمة باستحضارها الدلالة القرآنية إلى جانب الدلالة الشعرية الحاضرة، وكان لهذا التناص بهذه المفردة أهمية ودور في توضيح فكرة الشاعرة وتقريبها إلى ذهن القارئ .

وبطبيعة الحال إن الألفاظ المفردة لايمكن أن تكون تعالقاً نصـــيا إلا في بعض المفردات ذات الإيحاءات المميزة التي ترتبط بنص معين مثل (ســـكارى) و (قتلت) كما وردت في قول الشـــاعر القيرواني.من خلال عمل آلية التكثيف للتناص ضـــمن المرجعية الدينية.

على وفق هذه الآلية يصـــبح النص وحدة تكثيفية تقوم على الإيجاز أو الاختصـــار وهذا ما ينســـجم مع اللغة الشـــعرية التي تعتمد الإيحاء والتأويل والرمز في طرح دلالاتها من دون الإطناب والتفصيل ، وبذلك يتحقق نوع من أنواع الإبداع الشعري.

وتعمل هذه الآلية في العلاقات بين النصوص على جعل النص إشارة موجزة وسريعة تحيل إلى نصوص أخرى تحمل عبراً أو أفكاراً تتناسب مع القصد الذي يريده منتج النص الجديد بشكل مختصر ومكثف .

وفي وصف الجنة وما فيها من نعيم يقول [27]:

أنتُمْ ثمانون صفًا تدخلون غدا ** جنات عَدنٍ ومنكمْ صالحُ وولي**

واربعون سواكم يدخلون إلى ** جنَاتِ ربهم من سائر الملل**

فقد استوحى ابن ابي زيد القيرواني لفظتي (جناتِ عَدنٍ) و (جنَاتٍ ربه) من قوله تعالى:

﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾ [28]

وقوله تعالى:

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ [29]

فابن ابي زيد القيرواني يرى أن هذا النعيم لا يمكن الحصول عليه إلا بعد مشقة وجهد كبيرين، كذلك الجنة وما فيها من النعم لا تُعطى إلا للمتقين الصالحين الذين أطاعوا الله وصبروا واستقاموا، فالمشقة والتعب العامل المشترك للحصول على الثمرة، فالجنة تحتاج إلى سعي مستمر، وعمل صالح لا ينقطع،

فاستخدام هذه المفردات حقق تناصا شكليا ووظيفياً، أدى إلى تلاحمٍ واندماجٍ في معناه وغايته مع المعنى القرآني، وشكل بذلك داعما قويا لتوضيح المعنى والفكرة المطلوبة .

وعلى ذلك يستمر ويستمد ابن ابي زيد القيرواني في قصيدته من الآية القرآنية و الحديث النبوي قوله [30]:

والحوضُ قد خصّهُ ربُ السماءِ به ** وماءهُ كوثَرٌ يشفي من العلل**

استوحاه الشاعر من قوله تعالى:

﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ [31] هو حوض ترد

ومن حديث الحوض النبوي [32] وهو من الأحاديث المنتقاة في فضائل سيدنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

عن انس بن مالك رضي الله عنه قال: "بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا في المسجد، إذ أغفى إغفاءة، ثم رفع رأسه مبتسمًا، قلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: "أنزلت علي آنفا سورة"، فقرأ: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ ثم قال: "أتدرون ما الكوثر؟"، قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: "فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل، عليه خيرٌ كثير، عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم، "

لنا وقفة عما يقصده الشاعر بمفردة(العِلِلِ) وتعني المرض وهو اقرب، لانه المناسب لمفردة(يشفي) وليته قال (يروي من العِلِلِ) لكونه انسب تناسبا مع الفاظ احاديث الحوض التي فيها بيانُ أنّ من شرب منه لم يظمأ أبداً.

دل بيت الشاعر على ظواهر تناصية فنجد هنا أن التناص جاء معتمداً على التقابل حيث انتقل الشاعر باللفظة من سياقها القرآني الإيجابي لتأخذ سياقا ايجابيا جديداً في النص القرآني (اعطيناك الكوثر) إيجابية ودلالته في النص الشعري (والحوضُ قد خصّهُ ربُ السماءِ).(وماءة كوثر).

كذاك يقوم هذا النوع من التناص على استحضار الشاعر لنص قرآني عن طريق الإشارة، فقد يعتمد على إشارات أو علامات أو يعتمد على الإيماء دون التصريح وإيراد المعنى دون اللفظ، لذلك فهذا النوع من التناص يتوقف على ثقافة القارئ واطلاعه، أي أنه يتطلب من القارئ إعمال الذهن أكثر لاكتشاف النص الغائب وتحديد دلالته، ومن السمات البارزة التي يقوم عليها هذا النوع من التناص التخييل والاستحضار والإيماء والإحالة، لذا فإن له أهمية كبيرة في تحديد المعنى وتقريره؛ لأنه يقوم على إذابة النصوص الغائبة وتشربها، وإعادة صياغتها في لغة جديدة، ويعد التناص بالمعاني القرآنية من أدق وأصعب أنواع التناص .

ويتضح من خلال النص السابق بروز لغة القرآن الكريم في شعره و استمداده الألفاظ القرآنية وتوظيفها في أشعاره لإضفاء الجمال اللغوي على إبداعه ومد لغته بطاقات تعبيرية هائلة، وشحنات إيحائية، حيث تناولها بنصها ومبناها القرآني، حتى

ولو كان تحويراً يسيراً لا يبعدها عن أصلها، مما كان له الأثر في تقوية نتاجه وتحسن أدائه الشعري.

الخاتمة

حاولنا في هذا البحث إلى بيان أثر النص القرآني في إثراء النص الشعري عند ابن ابي زيد القيرواني الذي استسقى من ألفاظ القرآن الكريم ومعانيه وصوره والقصص القرآنية والسنة في أغراضه الشعرية المختلفة في المدح والرثاء والوصف والحكمة والغزل .لنكشف إبراز قدرته الشعرية على استحضار النصوص القرآنية وتوظيفها في النصوص الشعرية لبيان وتوضيح عمق الاختيار وإستحضار التوظيف الديني في شعره ،

وسعى هذا البحث إلى تسليط الضوء على أشكال التناص القرآني في شعر القيرواني من خلال تناول و تحليل مجموعة من نماذج اشعاره خاصة على الجانب التطبيقي، في تحديد مفهوم التناص وآلياته.

ولوحظ بشكل جلي أن القرآن الكريم كان مصدراً أساسيا مهما في ثقافته، وهذا ماانعكس على قصائد القيرواني الذي كان يقتبس من القرآن بعض ألفاظه ومعانيه وتراكيبه، جمله، أو يضمن شعره أثراً من روح القرآن ووحيه. الذي اشتمل على مفردات ذات خصوصية كبيرة، ، ولكنه حرص على الإفادة منها لقدرتها الفائقة في التعبير عن المعنى، وقد اتضح هذا التأثر عنده بالألفاظ القرآنية رغم كونه مقلا بالشعر، لكن ذلك يعكس مقدرته وملكته في توظيف اللفظة القرآنية في الأداء الشعري.

اهم نتائج الدراسة :-

- إن التناص بوصفه مصطلحاً نقدياً يقوم على الاقتباس من النصوص السابقة أو تضمين النصوص بعضها لبعض , أي أن الاقتباس والتضمين مفهومان شاملان لكل عملية التناص.

- ❖ التناص كله قائم على مبدأ تحاور النصـوص والاقتباس منها وتضـمينها , لذلك يُعد الاقتباس والتضـمين والحوار مبادئ مهمة تقوم عليها عملية التعالق النصـي وليسـت آليات مستقلة .
- ❖ تم تقصـــي مواطن التعالق في عدد من المقطوعات الشـــعرية عند القيرواني التي تعطي اضاءات واضحة عن ثقافتة .
- ❖ أن القرآن الكريم والحديث النبوي الشـــريف هما الركيزتان الأســـاســـيتان لإقامة العلاقات التناصـــية ضـــمن المرجعية الدينية فهذهِ النصـــوص هي الأكثر قدســـية وبالتالي فهي الأكثر تأثيراً في النصـــوص الشـــعرية من هنا تفاعل القيرواني مع التراث الديني بوعي وأدراك , و استمد من النص الديني زخماً روحياً ومعنوياً .
- ❖ لقد سجلت الأحاديث النبوية الشريفة حضوراً واضحاً في نصوصه الشعريه لكن بنسبة اقل من آيات القرآن الكريم لأن الشـاعر كان يسـعى الى الإشـارة إلى حكمة وهو ما يمثل صـــفة من صـــفات الأحاديث النبوية الشـــريفة إذ اســـتوحى منها لقيم الجليلة والمواعظ النبيلة .
- ❖ وجاءت المرجعية الدينية في عصر القيرواني تجسيداً للهوية الإسلامية إذ إن الثقافة الإسلامية باتت تشكل قوام الدولة الاندلسية في ظرف كانت تدافع فيه عن الإسلام .
- ❖ ولقد استطاع الشاعر القيرواني ضمن مرجعيته الدينية تحويل دلالة ألفاظ الحديث النبوي الشـريف وتطويعه لخدمة معاني الحكمة والموعظة مما يكشـف عن سـعة خيال الشاعر وبراعته في تحوير دلالة الألفاظ وفقاً للسياق العام الذي هو بصدده.

❖ قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

المصادر:

1. ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك: القاضي عايض بن موسى بن عياض البستي ، مجموعة محققين، وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية

– المغرب ، سنة 1982م.قدمة ابن خلدون: عبدالرحمن بن خلدون،، دار نهضة مصر 2012.

2. الخصائص : أبو الفتح، عثمان بن جني الموصلي ت 392هـ ، تحقيق : د.محمد علي النجار ، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت ، (ط2) سنة 1952م.
3. ديوان الامام ابي محمد عبدالله بن ابي زيد القيرواني، جمع وتحقيق، عمار سعيد خادم احمد بن طوق المري/ط1/جمعية دار البر/ الامارات المتحدة/ 2018م
4. سير أعلام النبلاء: شمس الدّين الذَّهَبِيّ (673 هـ)،مؤسسة الرسالة، بيروت ،1422هـ / 2001م .
5. صحيح مسلم :أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ – ٢٦١ هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشُرَكاؤه، القاهرة– سنة: ١٩٥٥ م.
6. معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان: عبد الرحمن بن محمد بن علي بن عبد الله الأنصاري الأُسيدي، أبو زيد، الدباغ (699 هـ)، تصحيح وتعليق ابراهيم شبوح، مكتبة الخانجي بمصر ، سنة 1968م.

المراجع:

1. أثر القرآن الكريم في الشعر العربي – دراسة في الشعر الأندلسي منذ الفتح وحتى سقوط الخلافة 92 – 422 هـ الدكتور محمد شهاب العاني، دار دجلة، عمان، الأردن، سنة 2010م.
2. الأعلام : خير الدين الزركلي: دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، (ط15) سنة2002م
3. تاريخ الادب العربي. كارل بروكلمان نقله إلى العربية ، د.عبد الحليم النجار، دار المعارف، مصر (ط4) (د.ت).

4. خصائص الادب العربي في مواجهة نظريات النقد: أنور الجندي ، دار الكتاب اللبناني، بيروت ، (ط 2) سنة1985م.
5. ديوان الإمام أبي محمد عبدالله بن أبي زيد القيرواني، جمع وتحقيق، عمار سعيد خادم احمد بن طوق المري/ط1/جمعية دار البر، الامارات المتحدة، 2018م
6. الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية. عبدالعزيز المجدُوب ، الدار التونسية للنشر، سنة 1975م.
7. الصورة الفنية في شعر أبي تمام : د. عبد القادر الرباعي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان ، الأردن، (ط1) سنة 1999م.
8. قراءات أسلوبية في الشعر الحديث عبدالمطلب، محمد، ، الهيئة المصرية للكتاب، مصر. سنة 1995م.
9. المدارس الكلامية بإفريقية إلى ظهور الأشعرية: عبدالمجيد بن حمدة، مطبعة دار العرب ، سنة الاصدار : 1986 .
10. النص القرآني وآفاق الكتابة: أدونيس، دار الآداب، بيروت (د.ت).

الرسائل والاطاريح الجامعية:

1. أثر التراث الجاهلي والاسلامي في الشعر الاندلسي (عصر الطوائف): أطروحة دكتوراه تقدم بها عمر خليل ابراهيم المحمدي ، إلى مجلس كلية الآداب الجامعة المستنصرية ، سنة 2003م.
2. التناص في شعر أبي تمام ,رسالة ماجستير تقدم بها صفاء كاظم مكي البديري, إلى مجلس كلية التربية–ابن الرشد / جامعة بغداد, عام 2000م،.
3. التناص في شعر العصر الأموي: رسالة ماجستير تقدم بها بدران عبد الحسين محمود البياتي , إلى مجلس كلية الآداب /جامعة الموصل ,عام 1996 .

الدوريات :

1. ابن أبي زيد القيرواني من خلال كتابه (متن الرسالة) : عبد المجيد معلومي، مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، العدد 364 ذو الحجة 1422/فبراير 2002.
2. الاقتباس والتضمين في شعر عرار: موسى سامح ربابعة، مجلة دراسات ، المجلد: التسع عشر(أ) العدد الأول، سنة 1992م.
3. التناص (النشأة والمفهوم) جدارية محمود درويش أنموذجا. –. إيمان الشنينى. –. مجلة. أفق الإلكترونية: العدد. 38. –. سنة: 2003 م.
4.

---

(1)ابن أبي زيد القيرواني مجلة دعوة الحق، العدد 364ذ ذوالحجة 1422 /فبراير 2002.

(2)"النفزاوي" هو ماذكره الدباغ في (معالم الايمان 109/3) والشيخ محمد الفاضل بن عاشور في (اعلام الفكر الاسلامي ص46) والزركلي (الاعلام 230/4) وبروكلمان (تاريخ الادب العربي 286/3).

(3)" النفزي" هو ماذكره القاضي عياض (ترتيب المدارك 215/6) وابن فرحون (الديباج ص136) ومخلوف(شجرة النورص96) وغيرهم.

(4) ينظر المدارس الكلامية بافريقيا،عبدالمجيد بن حمدة،ص79–83؛ الصراع المذهبي بافريقيا،عبدالعزيز المجذوب ،ص110

(5)المصدر السابق، 93.

(6)المصدر السابق ،ص110

(7) انظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض ٦/ ٢١٥ وما بعدها،وزارة الأوقاف المغربية, 1401هـ1981/م.

(8)_ ديوان الامام ابي محمد عبدالله بن ابي زيد القيرواني،جمع وتحقيق،عمار سعيد خادم احمد بن طوق المري/ط1/جمعية دار البر/ الامارات المتحدة/ 2018م.

(9) ديوان الامام ابي محمد عبدالله بن ابي زيد القيرواني مصدر سابق.

(10)الذهبي – شمس الدين ، سير أعلام النبلاء،مؤسسة الرسالة، بيروت ،1422هـ / 2001م ،10/17.؛ مجلة دعوة الحق، العدد 364ذ /فبراير 2002

(11) منها : التناص في شعر العصر الأموي رسالة ماجستير تقدم بها بدران عبد الحسين محمود البياتي , إلى مجلس كلية الآداب / جامعة الموصل ,عام 1996 ؛ التناص في شعر أبي تمام ,رسالة ماجستير تقدم بها صفاء كاظم مكي البديري, إلى مجلس كلية التربية–ابن الرشد / جامعة بغداد, عام 2000م،.

(12)إيمان الشنيني ،التناص (النشأة والمفهوم) ،ص 2–3

(13)الصورة الفنية في شعر تمام :238

(14)الاقتباس والتضمين في شعر عرار:221

(15) خصائص الادب العربي في مواجهة نظريات النقد:134

(16)النص القرآني وافاق الكتابة :20

(17)اثر القرآن في الشعر الاندلسي :278

(18)ينظر اثر التراث الجاهلي والاسلامي في الشعر الاندلسي :338

(19) النجار، محمد علي ، الخصائص لابن جني ، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت. ص52

(20)عبدالرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار نهضة مصر 2012 ، ج 3

(21)عبدالمطلب، محمد، ، قراءات أسلوبية في الشعر الحديث، الهئية المصرية العامة للكتاب،مصر. ص170

(22) المصدر نفسه. ص177

(23) الديوان . ص 25.

(24) سورة الحج الآية 2

(25) الديوان . ص 27.

(26) سورة القصص ، الاية 19 .

(27) الديوان، ص 32 .

(28)- سورة الرعد الآية 23.

(29) سورة القلم الآية 34.

(30) الديوان ، ص 32.

(31)- سورة الكوثر الاية 1-3 .

(32)صحح مسلم ،تحقيق محمد فواد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة عام 1374 هـ .